

الأساس في الطب النفسي الافتراضات الأساسية

الفصل السابع:

ملف الاضطرابات الجامعة (7)

تابع: بُعد الزمن (4)

الزمن.. وأمرؤ القيس

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD141115.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/11/14
السنة التاسعة - العدد: 2997



مازلت أتساءل وأنا أمضى في تناول الافتراضات الأساسية لقراءة النقد البشري الذي بناء عليها يمكن أن يتقدم الممارس الطبيب/المعالج إلى "نقد النص البشري"، أتساءل عن كل معلومة أقدمها كيف تفيدني، ومن مثلي، في الممارسة الفعلية فعلا، يعاودني هذا السؤال بإلحاح برغم أنه يبعثني عن الغوص في عمق أصل ما أتناول، يتعلق هذا السؤال بموقفى الأساسى احتراماً لمهنتى، ولمن أوجه لهم خطابى.

بالنسبة "للزمن" وحقيقته واختلافه عن ما هو "وقت"، أتساءل: هل هذا الخلاف، وهو الذى بدا لى بديهيا كما بينته لغتنا القادرة العريقة وهى تفرق بين "الوقت" و"الزمن" كما أسلفنا، هل هو يؤثر على الممارسة فعلا، وكيف؟

حين رحت أبحث عن أصل ما هو زمن فى الثقافات المختلفة وجدت أنه موضوع محورى فى الفلسفة أساسا، وفى التصوف أحيانا، وفى النقد بدرجة أقل، وفى علم الطبيعة كذلك، لكنه يكاد يكون هامشيا أو متأخرا فى منظومة الاهتمامات فى العلوم النفسية، وبالتالي فى الطب النفسى.

إذ كان الزمن وتخليقه واستيعابه والالتحام به لتحديد الوجود، بل لتجديد الوجود، هو بكل هذه المحورية، وإذا كان مرضانا وخاصة الذهانيين منهم يغامرون - فيفشلون - بتعرية هذا العمق من الوجود، وإذا كان العلاج يشمل إعادة احتواء الزمن ضاماً خالفا رحبا متسعا إليه، فكيف يمكن أن يهمل الطبيب النفسى هذا البعد فى تناوله لنقص النص البشري، ثم كيف يمكن أن يتناوله دون أن يراجع علاقته هو شخصيا بالزمن؟

هذه التساؤلات التى تعاودنى كلما هممت بإقفال هذا الملف استدرجتى من جديد إلى التمداد فى كشف ما يمكن، حول هذه القضية: لعل وعسى.

قدمنا الأسبوع الماضى مقتطفات من (نجيب محفوظ ومن نقدى له)، لعلها بينت بعض أبعاد هذا الجوهر المترامى الزمنى من خلال حدس المبدع ومعايشة الناقد، ثم إنى عثرت فى أوراقى وتسجيلاتى على عدد من المحاولات والتجارب وجدت أن الرجوع إليها ربما يزيد الأمر وضوحا قبل أن نطلق إلى ما يسمى "اضطرابات الزمن".

وأبدأ مرة أخرى من عراقة لغتنا العربية التى تجلت منذ سُجِّلتْ شفاهة لعل ما أنتقى منها يتكامل مع ما اقتطفته من إبداعنا الحديث، نجيب محفوظ اسهم فى الحفاظ على هذه اللغة وتجديدها والتمكن منها وقد حضرنا تناوله للزمن فى إبداعه بهذه اللغة الرائعة، فدعونا نرجع الآن إلى أقل من حوالى قرنين قليلا لنستمع إلى أمرؤ القيس وهو يجسّد الزمن كيانا مرثيا محسوسا كأنه يصنع لوحة بارزة أو

بالنسبة "للزمن" وحقيقته واختلافه عن ما هو "وقت"، أتساءل: هل هذا الخلاف، وهو الذى بدا لى بديهيا كما بينته لغتنا القادرة العريقة وهى تفرق بين "الوقت" و"الزمن" كما أسلفنا، هل هو يؤثر على الممارسة فعلا، وكيف؟

حين رحت أبحث عن أصل ما هو زمن فى الثقافات المختلفة وجدت أنه موضوع محورى فى الفلسفة أساسا، وفى التصوف أحيانا، وفى النقد بدرجة أقل، وفى علم الطبيعة كذلك، لكنه يكاد يكون هامشيا أو متأخرا فى منظومة الاهتمامات فى العلوم النفسية، وبالتالي فى الطب النفسى

كيفه يمكن أن يمش الطبيب النفسى هذا البعد الزمنى (فى تناوله لنقص النص البشري، ثم كيفه يمكن أن يتناوله دون أن يراجع علاقته هو شخصيا

بالزمن؟

نجيب محفوظ اسمه في
الحفاظ على هذه اللغة
وتجديدها والتمكن منها وقد
حضرنا تناوله للزمن في
إبداعه بهذه اللغة الرائعة

يُحيى فينا أمرؤ القيس ما
كدنا ننساه، فيذكرنا أن لنا
إيقاع حيوى مواكب للكون
ودوراته، وأنه أصلُ فطرنا
الله عليه قبل كل تلك
التقنيات الحديثة وبعدها

هذه هي وظيفة الهموم
الإيجابية دفعا إلى الحياة إذا
نجحنا في الامتحان، وإعلاننا
للهزيمة والانسار إذا رسبنا
وفشلنا وتوقفنا عند النعابة أو
حتى التسكين

إيقاع الحركة - حتى دون
اليقين ببديل أفضل، هو الذى
يحافظ على دفع الحياة إلى
غايتها وليكن الإصباح كالليل،
والليل كالموج، ولتكن علاقتنا
الوثيقة بخطى الحياة
ومواكبنا لها هي الوسيلة
المثلى لتحقيق "الممكن
المجهول

إن إصرار ديننا العنيف
على التأكيد على أن "الإيمان
بالغييب" هو أحد أركان
الإيمان الأساسية، لابد أن
يؤكد التوصية على ضرب
غرور البشر الحديث "هذا".

هذا الحوار الإبداعي العربى
القديم يعلمنا ويدعونا لتفتح
آفاقنا رحبة لعوالم لا نعرفها.

تمثالا حيا مقدسا، بعمق إبداعه وجمال لغته (لغتنا)، يقول امرؤ القيس فى معلقته:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكأكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى ... بصبح وما الأصباح منك بأمثل
فيالك من ليل كان نجومه ... بأمراس كتان إلى صم جنـدل

هكذا يُحيى فينا أمرؤ القيس ما كدنا ننساه، فيذكرنا أن لنا إيقاع حيوى مواكب للكون ودوراته،
وأنه أصلُ فطرنا الله عليه قبل كل تلك التقنيات الحديثة وبعدها، ألا يجدر بنا أن نقف أمام إحساس
امرؤ القيس وإبداعه ونحن نتعجب من تناغمه مع هذا الإيقاع الحيوى الهادئ النابض وهو يصوره
بهذا التشكيل القادر المخترق؟ أنا لا أعرف من أين له بكل هذه الإحاطة من كل جانب، وهى ليست
إحاطة، بالسائتر الساكنة الداكنة، ولكنها إحاطة بتجسيد فى ما هو الموج المتلاطم القوى، فهى إحاطة
دافقة هادرة لا تترك الفرصة لغيوبية أو هروب، بل تحفز المواجهة والمراجعة، استنقاذا وحفا: فى
مواجهة الذات/الزمن/القدر/العجز/الفناء/الهجر/الوحدة/الحاجة،

نعم، أليست هذه بعض "أنواع الهموم"! تلك الهموم التى نسينا أن لها أنواعا، فرحنا نتصور أنها
هم واحد، ثم ذهبنا نطلق عليه اسم مرض سخي، يحرمانا من عمق الرؤية، وروعة تنوع الآلام
البشرية المتحدية المتحفزة، الهم هنا - بعد أن تجسد ماثلا هكذا - هو ليس همًا مبررًا للشكوى
والنعابة التى أصبحت أكل عيش مهنتنا إذا لم نتنبه لشرفها ومسئوليتها، ولكنه هم يدخلنا اختبار الزمن
لنواجه فيه هذه الهموم العظيمة فى "امتحان الوجود" وهى تتبلىنا لتوقظ: إذ تشد رؤيتنا (ما أمكن
ذلك)، هى تتبلى: لسير غور صبرنا، فتصهر صلابة وقتنا ووقفته، هذه هى وظيفة الهموم الإيجابية
دفعنا إلى الحياة إذا نجحنا فى الامتحان، وإعلاننا للهزيمة والانسار إذا رسبنا وفشلنا وتوقفنا عند
النعابة أو حتى التسكين.

ثم يبدأ الحوار مع الليل (II) وقد تمطى بصلبه، يبدأ امرؤ القيس الحوار وهو يتلمس سدول
الليل، ويتابع أعجازه النقال، ويمسك بحبال نجومه الثابت، يسأله أن ينقضى بعد أن أوصل رسالة
الهم ومسئوليته، ثم هو يواصل نداءه للزمن أن يتحرك نحو الإصباح حتى وهو يعلم أنه قد لا يواجه
فى صبحه إلا مثل ما واجه فى ليله (وما إصباح منك بأمثل)، ومع ذلك.. فإيقاع الحركة - حتى
دون اليقين ببديل أفضل، هو الذى يحافظ على دفع الحياة إلى غايتها وليكن الإصباح كالليل، والليل
كالموج، ولتكن علاقتنا الوثيقة بخطى الحياة ومواكبنا لها هى الوسيلة المثلى لتحقيق "الممكن
المجهول"، ذلك الممكن الذى تصر الحياة المعاصرة على أن يكون معلوما أصلا، ومسبقا أبدا، وعلى
وجه الدقة، قولوا لى بالله عليكم "كيف؟"،

إن إصرار ديننا الحنيف على التأكيد على أن "الإيمان بالغييب" هو أحد أركان الإيمان الأساسية،
لابد أن يؤكد التوصية على ضرب غرور البشر الحديث "هذا"، وهذا الحوار الإبداعي العربى القديم
يعلمنا ويدعونا لتفتح آفاقنا رحبة لعوالم لا نعرفها، ليست واردة أصلا فى برامج "كمبيوتراتنا"
الحاسبة المحسوبة.

أين اختفت كل تلك الحقائق التى جسدها هذا الإبداع المتحدى، حقيقة الليل، وحقيقة الإصباح،
وحقيقة أن للهموم أنواع.

اختفت وراء إغماء الجشع أو أوهام الخلود.

وبعد

هذا بعض ما ينبغى أن نعرفه عن الزمن والليل والإصباح من واقع تاريخنا ونبض تراثنا، وعلينا
أن نراه من خلال آلام مرضانا، وحقيقة دورنا، وهذا هو ما يصلنا من لغتنا حتى قبل الإسلام، فماذا

ليست واردة أصلاً هي برامج
"كمبيوتراتنا" الحاسبة
المحسوبة.

هذا بعض ما ينبغي أن
نعرفه عن الزمن والليل
والإصباح من واقع تاريخنا
ونبض تراثنا، وعلينا أن نراه
من خلال آلام مرضانا، وحقيقة
دورنا، وهذا هو ما يطنا من
اغتنا حتى قبل الإسلام

فعل المسلمون بالإسلام وبالإيمان بالغيب وبالإبداع؟

غفر الله لهم ، لكن علينا أن نعرف أن هناك منهم من حاول باستمرار بفضل وعيه الإيماني
وإبداعه وكدحه ومثابرته، فدعونا نواكب جهد هذا المسلم الشاعر الفيلسوف العالم واسمه "محمد
إقبال"، وكيف رأى الزمن بعد أكثر من قرن ونصف من رؤية امرؤ القيس، وكيف أننا الآن لم نر ما
رأه، ولا تعهدناه، وذلك عن الزمن والنبوة والتصوف والحدثة جميعا.
وغداً نلتقى به في حدود رؤيته للزمن أساسا.

□ - مرة أخرى نتذكر موقف الليل للنفري الذي تناولنا بعضه في نشرات سابقة مثل: نشرة 5-9-
2015 ، نشرة 12-9-2015، نشرة 19-9-2015 ، نشرة 26-9-2015

*** **



شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل

تنظم مؤسسة العلوم النفسية العربية
اسبوع " العربية " و علوم النفس
الاسبوع السنوي الثاني
من 18 الى 2 ديسمبر 2015



دعوة للمشاركة في اثناء الاسبوع الثاني بحراسات في الموضوع

المجلة العربية العلوم النفسية
مجلة فصلية محكمة في علوم النفس

العدد 46- صيف 2015

الملف الجنوسية المثلية... من الاسواء الى الاضطراب



تنزيل كامل العدد

(تنزيل خاص بالمشتركين / محمي بكلمة عبور)
http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=46

الإقتراحيّة

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ46/apnJ46First&Editorial.pdf

دليل الأعداد السابقة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>



مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد